Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحببتَ وما للعبد عن حكم ربه محيصٌ وأمرُ اللّه أعلى وأقهرُ
عزّيتَ عمن أثمرتك حياتُهُ ووَشْكُ التعزى عن ثمارك أجدرُ
فلا تهلكن حزناً على ابنة جَنَّةٍ غدتْ وهْي عند اللّه تُحبَى وتُخْبَرُ[١٠٢]

وكان ماينى ينفذ إلى أخيلة ومعان طريفة حتى فى الموت ، ولعله أول من حبَّب الموت إلى غيره ، وكأنما كان يراه خلاصاً من حياته ومن الناس والأصدقاء الذين لا ينصفونه ، مما جعله يقول :

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة فأكثروا للموت ألف فضيلةٍ لا تُعْرَفُ
فيه أمانُ لقائه بلقائه وفراقُ كل معاشرٍ لا يُنْصف[١٠٣]

وتعبيره عن أن الموت أمان للإنسان من خوفه المروِّع بلقائه من أدق ما يمكن ، وهو لا يبارَى فى النفوذ إلى كثير من المعانى والأحاسيس الدقيقة ، وتلقانا هنا مرثيته الملتهبة للبصرة حين حرقها الزنج ودمروها وأنزلوا بها النهب والسلب ، وفتكوا بأهلها فتكاً ذريعاً ، يقول ابن الرومى فى مقدمة قصيدته :

ذَادَ عن مُقْلتى لذيذَ المنامِ شغلُها عنه بالدموع السِّجامِ[١٠٤]

وهو يستهلها ببيان ضخامة الحادثة وخطورتها ، فقد نزل بالبصرة من ضروب الذل والهوان والخسف والعسف ما ملأ نفسه ألماً وهولا وحسرة ولوعة ، حتى أنه ليبكى بكاء مرّاً طوال نهاره وطوال ليله ، فقد انتهك الزنج محارم الإسلام ، وأن لهفته عليها لتدلع لهباً فى قلبه كلهب النار التى حرقتها ، وأنه ليندب مجدها وأمنها ومن سفكوا الدم فيها ، حتى كان الأخ لا يفكر فى أخيه ولا الأب فى بنيه ، فالجميع مشغولون بأنفسهم كل يريد النجاة ولا منجى فالسيوف تحصدهم حصداً ، أما النساء فساقوهن سبايا حاسرات الوجوه ، وباعوهن بيع الرقيق . وخَرِبت المدينة الكبيرة عند أقدام الزنج تترنّح إعياء ، وأصبحت القصور بالتحريق تلالا ، وأصبح الناس أشلاء مبعثرة فى كل مكان ، وأصبح المسجد الجامع قَفْراً من عبّاده ونسّاكه . ويتحول ابن الرومى

(١٠٢) المصدر نفسه ٣ : ٩٥٢ ، ٩٥٣ .
(١٠٣) ديوان المعانى ٣ : ١٧٢ .
(١٠٤) ديوان ابن الرومى ٥ : ٢١٢٨ .